Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تتخطى «لعبة» تثبيت الواقع ، كما قد تفعل آلة التصوير الفوتوغرافي وكما كان الاتجاه في القرن الثامن عشر ، لتدخل مجال الإحياء المستمر والمتفاعل للزمن . فكل « شيء » حقيقي في وقته ومكانه ومحيطه ، كما يرى لورنس . لكن هذا « الشيء » ، بحد ذاته ، هو غير حقيقي خارج وقته وزمانه ومحيطه . وإذا ما حاول الكاتب الروائي أن يعمل على « تثبيت » أي أمر في الرواية في مكان وزمان ومحيط يراه هو ، فهو إما أن يكون من السّاعين لقتل الرواية بكليتها من خلال عملية « التثبيت » هذه ، أو أن الرواية تَتَمرَّد على فعل « التثبيت » وترحل عن كاتبها .

ضمن هذا التوجُّه عند لورنس يأخذ « الدرس الأخلاقي » في الفعل الروائي بعداً جديداً . إنه البعد المتعلق باستمرارية الحياة في « الدرس الأخلاقي » . تأخذ القضية عند لورنس صورة ميزان ذي كفتين . وكأن الحدث يقع في زمانه ومكانه ومحيطه في كفّه ، ويقع تفاعله المستمر مع الحياة على امتدادها في كفّةٍ أخرى . و « الأخلاقية » في الرواية تصبح في الاهتزاز / الإرتعاش الدائم القائم في حركة كفتي الميزان ؛ ويتوقف الارتعاش عندما يحاول الكاتب أن يفرض قيمة الشخصيّة والذاتيّة على إحدى الكفتين . فيموت الفعل . وهذا « الموت » هو « اللاأخلاقي » في الرواية . تضحي الأخلاقية ، بالتالي ، وكأنها القيمة الحياتية والحيّة للفعل الروائي .

من هنا يمكن للمرء أن يفهم كلام لورنس عن أخلاقية الرواية . إنه يقول إذا ما عبّرت الرواية عن علاقات حقيقية حية ، فهذا عمل أخلاقي أياً كان مضمون العلاقات . وإذا ما ارتفع الروائي بكتابته إلى مستوى حيوية هذه العلاقات ، فهذا ، بحد ذاته عند لورنس ، عمل روائي عظيم .

لم يعد المقصود هو التوجيه الأخلاقي . ولم تعد الرواية عملاً يُكْتبُ للأغبياء وللصغار وللذين يحتاجون إلى محاضرات في الإرشاد الاجتماعي وسواه . أصبحت الرواية ، مع العقود الأولى للقرن العشرين ، فعلاً حياتياً مستقلاً بذاته ، متفاعلاً مع سواه ومستمراً . خرج الفعل الروائي في مطالع القرن العشرين في النقد الغربي من حيِّز « الثبات » إلى دنيا « الحركة » . إنه